اسم المصدر: المدينة المنورة / الرسالة

التاريـــخ: 16-01-2009 | رقم العـدد: 0 | رقم الصفحة: 3 | مسلسـل: 7 | رقم القصاصة: 1

ملف صحفي

تنظمه رابطة العالم الإسلامي برعاية خادم الحرمين الشريفين

مؤتمر «الفتوى وضوابطها» من يلزم بميثاقه وسائل الإعلام؟

تهاني السالم – لطفي عبد اللطيف – جدة – الرياض

تأتي أهمية وضرورة (مؤتمر الفتوى وضوابطها)، الذي ينظمه المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي الذي يبدأ أعماله صباح الغد برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز والذي يستمر أربعة أيام، بمشاركة نخبة من فقهاء وعلماء المسلمين والخبراء المختصين في شأن الفتوى، لدراسة العديد من القضايا الهامة والأساسية حول الفتوى وضوابطها، والثوابت الشرعية التي يجب الالتزام بها، والفتاوى الشاذة التي ابتليت بها الأمة، وجرت عليها ويلات العنف والإرهاب الذي وقع فريسته شباب غض ضُلّل بفتاوى باطلة، وحُرِّض على أوطانه وأمته، ففجر وسفك الدماء، تحت شعارات كاذبة، وآراء مبلسة ألبست لباس الشرع وهو منها براء.

المؤتمر يبحث ثمانية محاور أساسية متعلقة بالفتوى وعملها وآلياتها وضوابطها، وسيصدر عنه -بحسب تأكيد القائمين على المؤتمر- (ميثاق للفتوى) لتحديد الضوابط الشرعية للفتوى، ومن تؤخذ منه الفتوى، والفرق بين الفتاوى الشخصية التي تصدر لحالة خاصة، والفتاوى الجماعية الخاصة بقضايا الأمة.

ولكن هل يستطيع المؤتمر أن يواجه هذه الفتاوى الشاذة ويحد منها؟ ولماذا لا تؤخذ توصيات المؤتمر ويستفاد منها لدى الجهات القائمة على الفتوى؟ ألم ترتكب جرائم في حق الأمة بسبب الفتاوى التي ضللت بعض الشباب وجعلتهم ينخرطون في سلك العنف والتطرف والإرهاب؟ وماذا عن الضوابط الشرعية للفتوى؟ (الرسالة) حاولت إيجاد إجابات على تلك الأسئلة من خلال التحقيق التالي:

اسم المصدر: المدينة المنورة / الرسالة

التاريخ: 16-01-2009 رقم العدد: 0 رقم الصفحة: 3 مسلسل: 7 رقم القصاصة: 2

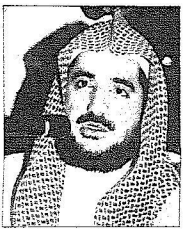

■ آل الشيخ: نرى تهاوناً في الفتيا وأصبح لكل فضائية مفتٍ خاص أو أكثر

■ د. المصلح: كثر المتسورون لسور الفتوى ولابد من العناية بها!

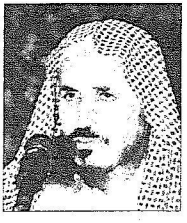

■ د. الدويش: تنوع الفتاوى وتعددها أوجد حالة من القلق والحيرة

في البداية يحدد معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ المقصود من الفتوى ومطابقتها للشرع فيقول: المقصود من الفتوى هو إبانة الأمر وإيضاحه، فالقول أفتى فلانا أي أبان الأمر، وخص الشرع هذا اللفظ بأنه إيضاح وإبانة أحكام الله -جل وعلا- التي يسأل عنها العباد فيما يعرض عليهم في دينهم ودنياهم.

ويواصل آل الشيخ: يكتسب موضوع الفتوى أهمية عظيمة، لأن الناس قديما في عهد الصحابة، ومن بعدهم كانوا يتورعون عن الفتوى وينزوون عنها، ويحرص المرء إذا أفتى أن لا يسمع فتواه إلا الواحد أو الاثنان، لأن التبعية تعظم بانتشار الفتوى، لأن المفتي يوقع عن رب العالمين، أي أنه يبين حكم الله في المسألة التي أفتى فيها، إما بشرع منزل، أو باجتهاد له. ومن يتأمل أحوال الناس في هذا الزمان يجدهم تجرؤوا على الفتيا، حتى أصبح الأمر مختلطاً أعظم الاختلاط، من جهة المفتين في العلم، ومن جهة المستفتين أيضاً في عدم مراعاة آداب الاستفتاء، وما يبرئ ذمة المستفتي أمام ربه في استفتائه، فكما أن المفتي له شروط وآداب تجب عليه، فإن للمستفتي آداب يجب عليه التمسك بها، و قد ضعف عمل الناس اليوم الأصل العظيم، بخلاف الصحابة -رضوان الله عليهم- المقربين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى لم ينكر عنهم في كتابه أنهم سألوا نبيهم إلا عن نحو اثنتي عشرة مسألة، وفي السنة شيء يزيد على هذا من جهة المطابقة، إذ كان همهم الامتثال لأمر الله واجتناب النهي.

الجرأة على الفتوى

وأضاف آل الشيخ: نرى اليوم تهاوناً في أمر الفتيا، فصار لكل قناة من القنوات الفضائية والإذاعية دفت أو أكثر، وكذلك الجرائد والمجلات، بل حتى المجلات التي تنشر الفسق يوجد فيها من يفتي، وهذا يبين أن الأمر جد خطير، فالناس إذا تركوا على هذا سيأتي قوم يتهاونون ويتجرؤون أكثر، فيحلون الحرام ويحرمون الحلال والعياذ بالله.

وطالب آل الشيخ طلبة العلم، وبخاصة العلماء أن يبينوا للناس خطر الفتوى، ويعلموهم ألا يتجرؤوا على السؤال، وألا يتسرعوا في الإجابة، لأن الناس إذا رأوا من يفتي في كل حال سيسألون عما وقع وعما لم يقع مما قد يحدث الكثير من البلبلة، وقال: لا بد أن نعي خطورة القول بالحلال والحرام، (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)، وينبغي عدم الجزم بموافقة حكم الله في المسائل الخلافية، أو في المسائل التي فيها اجتهاد، وقد كان منهج السلف في هذه المسائل هو الورع والاحتياط في الدين، فلا يقولون هذا حلال أو حرام إلا إذا اتضح دليله من أدلة الشرع، وكثير منهم يعبر بتعبير: أكرهه أو لا أحبه أو لا يجوز هذا. ويمضي آل الشيخ قائلا: الفتوى أصبحت اليوم مفخرة، فهذا يفتي وجرس الهاتف لا يسكت، ويتكلم بغير إيقان ولا إتقان، وربما أفتى وهو يأكل أو ينظر إلى شيء أو يكتب، وهذا أمر في الحقيقة يخشى على المرء أن يعاقبه الله -جل وعلا- بذهاب نور الإيمان من صدره.

الفتوى من الله

وبدوره يؤكد الدكتور خالد المصلح الداعية المعروف أهمية الفتوى بقوله: مسألة الفتوى ذات أهمية وأثر كبير في حياة الناس على مر تاريخ الأمة ولقد كانت الفتوى حاضرة في زمن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكان يتولاها النبي مبيناً وموضحاً بل إنه قد ساله أصحابه جملة من المسائل تولى الإفتاء فيها رب العالمين كما ذكر ذلك في مواضع عديدة من كتابه جل وعلا كقوله تعالى: (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم) وما أشبه ذلك من الآيات التي ذكر الله تعالى فيها حكم ما سال الناس فيه، ومن الملاحظ ان الفتوى لا تختص بشان من شؤون الحياة، بل تطال جميع شؤونها، لاسيما أن الدين الإسلامي لا يقتصر على معالجة جانب معين، بل يشمل جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة، ويهتم بصلة الناس ببعضهم البعض، سواء كانوا موافقين في الاعتقاد أو مخالفين، وسواء كان في جانب الاقتصاد أو السياسة أو جانب الاجتماع أو المستجدات الكثيرة التي تطرأ على الساحة، لهذا كانت الفتوى لها هذه الأهمية والمكانة ما ينبغي أن يُعتنى بها عناية خاصة، لاسيما في هذا الوقت الذي كثر فيه المتسورون لسور الفتوى، ولم يتأهلوا التأهل الكامل، أو أنهم فقدوا الآليات التي تعينهم في توضيح الشريعة وإعطاء الفتوى ما تستحقه من عناية.

ويمضي المصلح بقوله: هذا المؤتمر الذي يشرف عليه مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي لاشك أنه خطوة -وليس غاية- فهو خطوة مهمة ومؤثرة ويُرجى أن يكون له أثر كبير في تصحيح جوانب الفتوى التي طالها الخلل، سواء كان ذلك فيما يتعلق بفتاوى الفضائيات، أو الفتوى الفردية، أو فيما يتعلق بضرورة التحري في الفتوى، وبيان صفات المتأهلين لها، وغير ذلك من جوانب الخلل التي سيبحثها المؤتمر ويتطرق إليها.

إشكالية الفتوى الفضائية

ثم يُشدد المصلح أن مشكلة فتاوى الفضائيات مشكلة قائمة منذ القدم فيقول: «فيما يتعلق بفتاوى الفضائيات فهي إشكالية لا يمكن أن تخفى على مطلع، وهي في الحقيقة ليست مرتبطة بالإفتاء الفضائي، أي لم تنشأ من الفضائيات، إنما كانت الفضائيات وسيلة لإظهارها لأن المشكلة كانت قائمة، فلما جاءت الفضائيات وأصبحت تنقل وتنشر على الهواء للناس ظهرت المشكلة. وفي السابق كان المفتي يفتي ويسمع فتواه من هم حوله، أو من تصلهم الفتوى على نطاق ضيق، لكن لما جاءت

اسم المصدر: المدينة المنورة / الرسالة

التاريـــخ: 16-01-2009 | رقم العـدد: 0 | رقم الصفحة: 3 | مسلسـل: 7 | رقم القصاصة: 3

هذه الفضائيات أظهرت هذه المشكلة وأضافت مشكلة أخرى هي أن الفتوى كانت في السابق ذات تأثير محدود تقتصر على السائل ومن تصل إليه إما بالكتابة أو بالسماع الصوتي، أو ما إلى ذلك لكن اليوم تعددت المسألة إلى أن تكون الفتوى منتشرة على مئات بل ملايين المستمعين، فالسائل واحد ومن يستمع بالملايين. وإذا كان السلف رحمهم الله يتحرون من مقام الفتوى ويتخوفون في حال أن السائل واحد والسامع واحد فكيف الآن في حال السائل واحد والسامع ملايين؟ لاشك أن المقام كبير وخطير وعلى الإنسان أن يتروى فيه كثيراً وأن يتذكر مراقبة الله والخوف أن تزل به القدم فيضل ويُضل.

ويحصر المصلح إشكاليات الفتوى الفضائية في ثلاث جوانب رئيسية:

الأول: هو أن الفتوى الفضائية تحتاج إلى علم غزير، وهذا مما يفتقده كثير مما يتصدون للفتوى في وسائل الإعلام، وقد يأتي من لا علم عنده، وقد يكون واعظاً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو داعية، أو موجهاً فأنزل نفسه هذه المنزلة أو أنزله غيره، فالقنوات لها دور في إبراز الوجوه الإعلامية التي لها حضور وجاذبية في جانب من الجوانب فيقحم من ليس من أهل الفتوى بها؛

والثاني: سرعة الفهم ودقته، لأن العلم الغزير إذا لم يقترن معه فهم دقيق ولماح لأسئلة السائلين فقد تُفهم المسألة على غير ما سأل بها السائل، ومعلوم أن الفتوى المباشرة يعتريها من توهم السامع أو المستفتي وعدم عرض السؤال بجودة مما قد يؤثر في الفتوى.

والثالث: ما يتصل بحسن العرض وطريقة إيصال المعلومة، فهناك من يتمتع بالعلم الغزير والجدية في فهم المسألة، لكن يعجزه البيان ويضعف عن إيضاح الفكرة، وبالتالي يُفهم عنه خلاف قوله أو خلاف ما أراد إيضاحه، وبالتالي تقع الإشكالية من خلال جهة من هذه الجهات الثلاث.

مجالات الفتوى

ويضيف المصلح: لهذا ينبغي الترشيد في هذا الجانب وأن نعلم أن الفتوى ليست سوقاً تتنافس فيها الفضائيات أو متصدرو الفتوى، بل هي مهمة دينية ووظيفة شرعية يجب فيها التحري، فالقنوات تتحرى أهل العلم والاختصاص والفقه والإدراك في المسائل التي يقدم المفتي للجواب عنها، وأيضاً المفتون أنفسهم يجب أن يتقوا الله تعالى بأن يكملوا ما يستطيعون تكميله وأن يراعوا الجوانب الثلاث التي ذكرناها سابقاً، وأن يعتذروا فيما لا يدركون وما لا يعلمون فيقولون لا نعلم أو ليس عندنا وضوح في هذا الجانب أو في هذه المسألة أو ما إلى ذلك من الوسائل، فالاعتذار اللبق مما يعطي المستمع ثقة المتكلم حيث يقول لا أدري ومن قال لا أدري فقد أفتى، ومن قال لا أعلم فقد أدرك نصف العلم كما جاء عن جماعة من السلف رحمهم الله فهذه قضية أساسية ينبغي أن تُراعى في الفتوى الفضائية.

تنظيم الفتاوى العامة

ويبدي المصلح أمله في أن يقوم المؤتمر بترشيد الفتاوى العامة بقوله: من الجوانب المهمة التي أرجو أن يخطيها هذا المؤتمر مسألة تنظيم الفتوى، والمقصود بتنظيم الفتوى: أي الفتاوى العامة. أما الفتوى الخاصة فهذه ليس لها ضابط يمكن أن تُحمل عليه، لكن إذا بُصّر الناس بمن هو مؤهل للفتوى ربما أفاد ذلك في محاصرة الفتوى الطائشة التي ليست على أصل. أيضا تنظيم الفتوى من خلال إبراز الوجوه التي عُرفت بالعلم والقدرة على إجابة أسئلة السائلين، هذه جوانب أرجو أن يخطيها المؤتمر، إضافة إلى وهي أهمية ولوج المؤهلين من أهل العلم إلى المضمار، فليس من الصواب ولا العدل والرشد أن ينزوي أهل الفضل والعلم جانباً ولا يكون لهم دور سوى توجيه اللوم وتوجيه النقد إلى فتاوى الفضائيات، فإن اهل العلم المؤهلين إذا تنحوا عن هذه المقامات ولجها من ليس أهل لها، وقد ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حال قبض العلم فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا ينزع العلم انتزاعا من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).

التصدر للفتوى

من جانبه يحذر الدكتور محمد بن عبد الله الدويش من تصدر البعض من غير المؤهلين للفتوى في وسائل الإعلام التي تعددت وتنوعت وأزالت كثيراً من الحواجز. ويقول: أسهم تطور الآلة الإعلامية وتنوع أدواتها في اتساع دائرة التأثير، وإتاحة الفرص أمام العديد من الناس للتصدر والحديث فيما يحسنون وما لا يحسنون. وإتاحة مساحة واسعة للمشاركة والتأثير، وفي فتح المجال أمام العديد من الدعاة وطلاب العلم للدعوة والتعليم والبلاغ، فقد أدّى ذلك إلى تصدر من لم يستجمع شروط التصدر.

وأضاف الدويش: من أخطر ما في ذلك التصدر للفتوى التي هي توقيع عن رب العالمين، وقول في دين الله تعالى. ومن هنا تنوعت الفتاوى وتعددت الأقوال أمام عامة الناس، واختلفت مشارب المفتين ما بين متشدد ومتساهل ومن هو بين ذلك، فأصبح كثير من الناس في حيرة وقلق. لاسيما أن تنوّع حاجات الناس ومشكلاتهم، وقلة أهل العلم المؤهلين للفتوى تقتضي قدرا من التوسع والتنوّع في المفتين، وبقدر ما يسهم ذلك في تسهيل وصول الناس للفتوى فقد يقود إلى قلق واضطراب لدى فئات منهم. ويفرض متطلبات تربوية ينبغي أن يعنى بها المربون، ويعيها المفتون.

اسم المصدر: المدينة المنورة / الرسالة

التاريـــخ: 16-01-2009 رقم العـدد: 0 رقم الصفحة: 3 مسلسـل: 7 رقم القصاصة: 4

بعض العلماء يناقشون قضايا دعوية